﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـرَّبـطُ بين البشرى بالإمداد وغـشـيـان النُّعاس أمَنةٌ وتطهيرٌ للعباد

لَمّا ذَكَرَ اللّهُ تعالَى البُشْرَى والطُّمَأْنينَةَ بالإمْدادِ؛ ناسَبَ أنْ يَذْكُرَ لهم أنَّه أتْبَعَ القَوْلَ الفِعْلَ، فألْقَى في قلوبهم بمقتضَى عِزَّته وحِكْمَته السَّكينَةَ والأمْنَ، بدَليلِ النُّعاسِ الذي غَشيَهُم في محلٍّ هو أبْعَدُ الأشْياءِ عنه، وهو مَوْطِنُ القِتالِ ومحاربَةِ الأعداءِ؛ لافتقارِ هذا الموطِن إلى التَّيقُّظِ من فتْكِ أهلِ الكُفْرِ، ومِمّا ثبَّتَ اللّهُ تعالَى به عبادَهُ المؤمنينَ المَطَرُ وأثَرُهُ، فقال سُبحانَهُ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾[1]، وفي امتنان اللّه عليهم بالنَّوم في هذه اللَّيلةِ مَلْمَحان مُفيدان: أحدهما: أنَّه قَوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد، فكانت تدريبًا واستعدادًا لتلك المعركة الفاصلة، وثانيهما: أنَّه أمَّنهم بزوال الرُّعب من قلوبهم، فانقشع الخوفُ، وزالت الرَّهبة، وثَبَت المؤمنون، حين حَميَ الوطيسُ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾: الغَيْنُ والشّين والحرْفُ المعتلُّ، تدلُّ تصريفاتُها على تغطيةِ شيءٍ بشيءٍ، ومنه الغِشاءُ، وهو الغِطاءُ، وسُمّي يومُ القيامَةِ غاشيةً؛ لأنَّها تَغْشَى الخلْقَ بإفزاعِها[3]، وقد تُطْلَقُ الغاشيَةُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 234/8.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 332/2.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غشي).

علَى النّار؛ لكونِها تَغْشَى وُجوهَ الكفّار[1]، كما قال اللّهُ تعالَى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: 50]، وقولُ الله سُبحانَهُ: ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾، أيْ: يُلْقي النُّعاسَ عَلَيْكُم كالغِطاءِ[2]، وقد غشَّى اللّهُ على بَصَرِهِ تغشيةً، وأغشى، أي: غطَّى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: 9][3]، ومن شواهد هذا اللَّفظ قولهم:

مِنَ النّاسِ مَنْ يَغْشَى الأباعِدَ نَفْعُهُ *** ويَشْقَى به حَتَّى المَماتِ أقارِبُهْ[4]

2) ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾: النّون والعَيْنُ والسّينُ، تدلُّ تصريفاتُها على ثِقَلٍ أو فُتورٍ في الجِسْمِ لِلينِه وامتِلائِه بالرَّخاوَةِ[5]، ومنه النُّعاسُ، وهو أوَّلُ النَّوم[6]؛ لِطُروئِه علَى العَبْدِ بسَبَبِ فُتورٍ في بدَنِه، والنُّعاسُ في قولِ الله ﷻ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ هو النَّوْمُ القَليلُ، أو هو عِبارَةٌ عَنِ السُّكونِ والهُدوءِ[7].

3) ﴿أَمَنَةً﴾: الهَمْزَةُ والميمُ والنّون تدلُّ اشتقاقاتُها علَى تَصْديقٍ وسُكونِ قلبٍ[8]، وأصلُ الأمْنِ: طُمأنينَةُ النَّفْسِ وزوالُ الخوف[9]، والفِعْلُ منه: أمِنَ، والأمَنَةُ والأمانُ والأمْنُ كُلُّه بمَعْنًى واحِدٍ[10]. وقولُ الله جلَّ وعلا: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ معناهُ: أنَّ اللّه تعالَى أرسلَ عليهِمُ النُّعاسَ؛ مِن أجْلِ أنْ يُدْخِلَ على قلوبهمُ الأمانَ مِنَ العَدوِّ أنْ يَغْلِبَهُم، وقد قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: "النُّعاسُ في القِتال: أمَنَةٌ مِنَ اللّهِ ﷻ، وفي الصَّلاةِ مِنَ الشَّيْطان"[11].

4) ﴿رِجْزَ﴾: الرّاء والجيمُ والزّايُ، تدور تصاريفُها على ارتعادٍ عندَ النُّهوض أو الحَمْلِ بسببِ الثِّقَلِ العظيم، ومنه: الرِّجْزُ؛ وهو العذاب المُثْقِلُ المعجِزُ[12]، وتقول العرب: ناقةٌ

(1) ابن سيده، المحكم: (غشو).
(2) الخضيريّ، السّراج في بيان غريب القرآن، ص: 70.
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (غشي).
(4) البيت غير منسوب لشاعر، وهو في تهذيب الأزهري: 246/2، وابن منظور، لسان العرب: (بعد)، والقالي، الأمالي: 220/3، وعند الخليل بن أحمد، كتاب العين: (بعد).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نعس).
(6) ابن الأثير، النّهاية: (نعس).
(7) الرّاغب، المفردات: (نعس).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أمن).
(9) الرّاغب، المفردات: (أمن).
(10) غلام ثعلب، ياقوتة الصّراط في تفسير غريب القرآن، ص: 236.
(11) ابن جرير، جامع البيان: 419/13.
(12) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رجز).

رَجْزاءُ؛ وهي الَّتي يرعُدُ فخذُها أو عَجُزُها حين تَقوم[1]، أو هي: الَّتي تَقارَبَ خَطْوُها واضْطرَبَ لضعفٍ فيها[2]، ورِجْزُ الشَّيطانِ في قَوْلِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ هيَ وسْوَسَتُه الَّتي تُكْسِبُ عذابَ اللّهِ تعالَى وغَضَبَهُ، ولِذا سُمّيَت الوسوسَةُ رِجْزًا؛ لأنَّ الرِّجْزَ يَرِدُ مُرادًا بِهِ العذابُ[3].

5) ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾: الرّاءُ والباءُ والطّاءُ تدورُ اشتقاقاتُها على معنى الشَّدِّ والثَّباتِ[4]، والرَّبْطُ على القَلْبِ: إلهامُ اللّهِ سُبحانَهُ وتَشْديدُهُ وتَقْويَتُهُ[5]، وفلانٌ رابطُ الجأشِ، وربيطُ الجأشِ، أي: شديد القلب، كأنَّه يربطُ نَفْسَهُ عن الفرار[6]، ومن المجاز: رَبَطَ اللّه على قلبه: صبَّرَهُ، قال تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: 10]، ورجل رابط الجأش وربيط الجأش[7]، ويقال: رَبَطَ اللّه على قلبهِ بالصَّبر، أي: عَصَمَهُ بالصَّبر[8]، وهذا هو المعنَى المرادُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾.

6) ﴿وَيُثَبِّتَ﴾: الثّاءُ والباءُ والتّاءُ، تدلُّ تصريفاتُها على مَتانَةِ ارْتِباطِ الشَّيْءِ بما قامَ عليه، فلا يَتَحَلْحَلُ[9]، ومنه الثَّباتُ، وهو ضِدُّ الزَّوالِ[10]، وتقولُ العربُ: فُلانٌ مُثْبَتٌ وجَعًا؛ وذلك إذا لَم يَقْدِرْ على الحَرَكَةِ[11]، وأثْبَتَهُ السُّقْمُ، أي: لَم يُفارِقْهُ[12]. وقولُ اللّه تعالَى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾، يُرادُ به: تمكينُها مِنَ السَّيْرِ في الرَّمْلِ، وذلكَ بألّا تَسوخَ في ذلك الدَّهْسِ[13].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إذْ يُلْقي اللّهُ تعالَى عَلَيْكُمُ النُّعاسَ؛ أمانًا منه لَكُم مِن عَدوِّكم أنْ يَغْلِبَكُم، ويُنَزِّلُ عليكُم مِنَ السَّحابِ ماءً طَهورًا؛ ليُطَهِّرَكُم مِنَ الأحداثِ الظّاهرةِ، ويُزيلَ عَنْكُم في الباطِن

(1) العسكريّ، التَّلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص: 359.
(2) الرّاغب، المفردات: (رجز).
(3) الواحدي، التّفسير البسيط: 50/10.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ربط).
(5) الهروي، الغريبين: (ربط).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (ربط).
(7) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (ربط).
(8) نشوان الحميريّ، شمس العلوم: (ربط).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ثبت).
(10) الرّاغب، المفردات: (ثبت).
(11) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 179.
(12) الجوهريّ، الصّحاح: (ثبت).
(13) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 280/9.

وساوِسَ الشَّيطانِ وخواطِرَهُ، وليشُدَّ على قلوبِكُم بالصَّبْرِ عند التحام الصَّفَّيْنِ، ويُثَبِّتَ أقدامَ أهلِ الإيمانِ، بتَلْبيدِ الأرض الرَّمليَّةِ بالمَطَرِ، فلا تَنْزَلِقُ فيها الأقدامُ[1]، فقد "كانوا يتنقَّلون في حَرْبهم على كثبانٍ من رمل، تسوخ فيه الأقدام؛ فتلبَّد الرَّمل من الماء، وتثبَّتت عليه أقدامهم عند اللُّقيا"[2].

تفضُّلُ اللهِ بالنَّوم المريح، والغيث المَريع تطمينٌ للقلوب، وتثبيتٌ للأقدام

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ حُسْنِ التَّخَلُّصِ:

في الانتقالِ إلى قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾، إبداعٌ في نَظْمِ الآياتِ في الانتقالِ من قصَّةٍ إلى أخرَى، من أدلَّة اعتناءِ اللهِ سُبحانَهُ بنبيِّه ﷺ وبالمؤمنينَ، وهذا الانتقالُ واقِعٌ بواسِطَة (إذ) الزَّمانيَّةِ، (وهذا من أبدَعِ التَّخلُّص، وهو من مبتكراتِ القرآنِ)[3].

عنايةُ اللهِ تعالَى بنَبيِّه ﷺ وبالمؤمِنينَ، ضمانٌ وتمكينٌ

عِلَّةُ فصلِ قَوْلِه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾:

فُصِلَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ عمّا ورد قبلُ؛ لوقوعِه بدلًا من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ﴾، فبينَ الجملتَيْنِ كَمالُ الاتِّصالِ، وهذا أجوَدُ ما قيلَ في موقِعِ هذه الجملَةِ بما قبلَها[4]، وغشّاهم اللهُ تعالى بالنُّعاس، أي: وضَعهُ على عيونهم، كأنَّه غِشاء، وقد تحقَّق بذلك المدد السَّخيُّ من عطاءِ اللهِ المعجز، ووعْدِه المنجَز، ما تجلَّى به تحقيقُ اللهِ لِما وعَدَ به المؤمنين مِنَ النَّصر والعناية والتَّمكين[5].

بَيانُ كَوْنِ الجُمْلَةِ بَدَلًا مِمّا قَبلَها لِكَمالِ الاتِّصالِ بها

دِلالَةُ الإيجازِ بالحَذْفِ:

يَجوزُ أنْ تكونَ ﴿إِذْ﴾ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 419/13 - 421، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 178.
(2) محمّد عبد اللّطيف الخطيب، أوضح التّفاسير، ص: 211.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 278/9.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 281/5، والبقاعيّ، نظم الدرر: 234/8.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1079/6.

تَـجَـدُّدُ التَّـذْكِيرِ بما أَنْـعَـمَ اللهُ عـلى المـؤمـنين يـوجِـبُ تَـجْـديدَ الـشُّـكـرِ لـربِّ العالمين

أَمَنَةَ مِّنْهُ﴾، ظرفَ زمانٍ مبنيًّا على السُّكون متعلِّقًا بفِعْلٍ محذوفٍ تقديرُهُ: اذكروا[1]، ففي الآية إيجازٌ بالحذفِ؛ فقد حُذِفَ الفعلُ وفاعلُهُ وهو (اذكروا)، وتقديرُ هذا الفِعْلِ يَسْتَلْزِمُ تَذْكيرًا متجدِّدًا بإفرادِ ما أَنْعَمَ اللهُ تعالَى بهِ على أهل الإيمانِ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، وهو إنعامٌ أثير، وتكريمٌ جديرٌ، قد أبرزتْهُ العبارةُ الموجزة البليغة، بالمحذوف والمذكور، لتصوير ذلك المشهد المأثور الَّذي سُمّي يوم الفرقان، بما حملهُ مِن أحداث، وما خلَّده من مآثرَ للنَّبي والمؤمنين.

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ في الآية:

إبْـــرازُ المَـعـاني في صـــــورَةِ المَـحْـسـوسـاتِ مُـعْـجِـزَةٌ جَـرَتْ عـــلى خِـــلافِ العادَةِ

في قَوْلِ اللهِ جلَّ وعلا: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ استعارَةٌ؛ حيثُ جُعِلَ إلقاءُ النُّعاسِ عليهم بمنزلَةِ وضْعِ الغِشاءِ على العُيونِ، فصارَ كأَنَّهُ غشاءٌ مِن نُعاسٍ[2]، وفي إجراءِ الاستعارةِ مَسْلَكانِ: أحدهُما: أنَّه قد شُبِّهَ إلقاءُ النُّعاسِ بوضْعِ الغشاءِ، على طريقة الاستعارة التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّة. والآخَرُ: أنَّه قد شُبِّهَ النُّعاسُ بالغطاءِ، فحُذِفَ المشبَّهُ بهِ، ورُمِزَ لَهُ بشيءٍ مِن لوازمِه، وهو ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾، على طريقَةِ الاستعارَةِ المَكْنيَّةِ الأصليَّة، وفي ذلك إبرازٌ للمَعاني في صورَةِ الأشياءِ الحسّيَّةِ، وليكونَ أظْهَرَ في كَوْنِ ذَلِك معجِزَةً جرَتْ على خلافِ العادَةِ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ في: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾:

إلـقـاءُ النُّـعـاسِ على المُؤْمِنينَ في بَـــدْرٍ مـعـجـزةٌ؛ لامْـتِـنـاعِـه في المَواطِنِ المَخوفَةِ

عُبِّرَ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ مِن قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾، وهو في الأصلِ دالٌّ على الحالِ أوِ الاستقبالِ، والتَّغشيَةُ أمرٌ ماضٍ، فلَم يَرِد النَّظْمُ القرآنيُّ: (إذ غشّاكُم النُّعاسَ أمنَةً منه)، والنُّكْتَةُ في ذلك: حكايَةُ الحالِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 460/15.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3079/6.

الماضية[1]، استحضارًا لصورتها العجيبَة؛ حيث إنَّ العادَةَ جاريةٌ بامتِناعِ النُّعاسِ في المَواطِن المَخوفَةِ، كالحربِ ونحوِها، ومَنْ نام في ذلك الموطن؛ فقد قرَّت عيناه، واطمأنَّ إلى عون الله، ولم يَرِدْ على باله خوفٌ هالعٌ، ولا قَلَقٌ مانعٌ، وهو ما وقع للرَّسول ﷺ أيضًا، فقد ورد «أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ لما كانَ يَوْمَ بَدْرٍ في العَريشِ معَ الصِّدّيقِ، رضي الله عنه، وهُما يَدْعوانِ، أخَذَتْ رَسولَ اللهِ سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ مُتَبَسِّمًا، فقالَ: أبْشِرْ يا أبا بَكْرٍ، هذا جِبْرِيلُ على ثَناياهُ النَّقْعُ، ثُمَّ خَرَجَ مِن بابِ العَريشِ، وهو يَتْلو قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القَمَر: 45]»[2].

تَوْجيهُ القِراءاتِ في الآية:

التَّكامُلُ الدّلاليُّ لِلْقِراءاتِ القرآنيَّةِ، وأثره في السّياق

في قولِ اللهِ جلَّ وعلا: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ ثلاثُ قراءاتٍ[3]: أوّلها: ﴿إِذْ يُغْشِيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾، وهي قراءةُ نافعٍ وأبي جعفرَ، على أنَّه مِنَ الرُّباعيِّ (أغْشَى)، ومضارِعُهُ: يُغْشي، كـ: أهْدَى يُهْدي، وفاعلُهُ مستَتِرٌ جوازًا تقديرُهُ: هو، يرجِعُ إلى اللهِ سُبحانَهُ، والمعنى: إذْ يُغْشيكُمُ اللهُ النُّعاسَ، فالنُّعاسَ: مفعولٌ بهِ ثانٍ. وثانيها: ﴿إِذْ يَغْشَىٰكُمُ ٱلنُّعَاسُ﴾، وقرأ بها ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو، على أنَّه مضارعُ (غَشيَ)، فهو كـ: رضيَ يَرْضَى، و(النُّعاسُ) فاعِلُهُ. وثالثُها: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾، وهي قراءةُ الباقين، على أنَّه من الثُّلاثيِّ المضعَّف (غشَّى) ومضارِعُهُ: يُغَشّي، كـ: ربَّى يُرَبّي، وفاعِلُهُ مُسْتَتِرٌ يعودُ على اللهِ ﷻ. وإسنادُ الإغشاءِ أو التَّغشيَةِ إلى اللهِ سُبحانَهُ على القراءَةِ الأولى والثّالثَةِ لكونِه الَّذي قدَّر أن يناموا في وقْتٍ لا يَنامُ الخائفُ في مِثْلِه عادَةً، ولا يكونُ النَّوْمُ عامًّا سائرَ الجيشِ، فهو نومٌ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 9/4، والآلوسيّ، روح المعاني: 163/5.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 23/4، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 264/5.
(3) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 276/2، والبنّا الدّمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص: 296، ومحمد سالم محسين، المغني في توجيه القراءات العشر: 185/2 - 186.

أَكْرَمَهُمُ اللهُ تعالَى بهِ لفائدَتِهم، وإسْنادُ الغَشْيِ إلى النُّعاسِ على القراءة الثّانية، إمّا أن يكونَ حقيقةً باعتبارِ المُتعارَفِ، وإمّا أن يكونَ مجازًا عقليًّا، يُرادُ به شِدَّةُ طُروءِ النُّعاسِ عليهم، حتَّى كأنَّهُ الَّذي غَشيَهُم بنفسِه، بحيثُ لَم يَقْدِروا على مُدافَعتِه[1].

بلاغةُ الاستِعارَةِ في الآية:

تَسَلُّطُ النُّعاسِ على المُؤْمِنينَ في بَدْرٍ فِعلٌ إلهيٌّ، لا إرادةَ لهم فيه

على قراءة ابن كثيرٍ وأبي عمرٍو: ﴿إِذْ يَغْشَىٰكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ بجَعْلِ النُّعاسِ فاعلًا، إمّا على طريقَةِ المجازِ العقليِّ - كما تقدَّمَ - وإمّا على طريقةِ الاستعارةِ بالكنايَةِ؛ حيثُ شُبِّهَ النُّعاسُ بالشَّخْصِ الذي مِن شأنِه أن يأتيَهُم، (والقرينة: ذِكْرُ الأمَنَةِ؛ لأنَّها مِن لَوازِمِ المشبَّه به)[2]، وفي هذا إبرازٌ للمعنويّاتِ في قالَبِ الحسّيّاتِ، وفيه إشْعارٌ بأنَّ النُّعاسَ تَسلَّطَ عليْهِم من غيرِ إرادَةٍ منهم لَهُ.

سِرُّ مَجيءِ الجارِّ والمَجرورِ ﴿مِّنْهُ﴾:

حمايةُ اللهِ تَعالَى لأهْلِ الإيمانِ، وقايةٌ في اليقظة والمنام

﴿أَمَنَةً﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ مفعولٌ لأجْلِه، أي: فعَلْتُ ما ذُكِرَ لأجلِ أمْنِكُم، ولمّا كان هذا جاريًا على خِلافِ العادَةِ؛ جيءَ بالجارِّ والمجرورِ ﴿مِّنْهُ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ فِعْلَ التَّغشيَةِ صادرٌ بحِكمتِه سُبحانَهُ؛ لكونِه لا يَنامُ في مثلِ هذه الأحوالِ إلّا الآمِنُ، فاللهُ ﷻ يَمْنَعُ عَدوَّكُم عَنْكُم، وأنتم نائمونَ بقوَّتِه وعِزَّتِه سُبحانَهُ[3]، و(مِن) هنا ابتدائيَّةٌ.

تَوْجيهُ المُتشابِه اللَّفْظيِّ:

دِقَّةُ النَّظْمِ القرآنيِّ في انتِقاءِ مَواقِعِ الكَلِمِ بحَسَبِ مُقْتَضَياتِ الأحْوالِ

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾، وقال سُبحانَهُ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: 154]، ووجهُ ذلك أنَّه روعيَ في كلِّ موضعٍ ما اقتضاهُ الحالُ؛ إذْ إنَّ آيةَ الأنفالِ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 460/15 - 461، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 278/9.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 164/5.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 235/8.

تَحْكي قصَّةَ غَزوَةِ بدْرٍ، وقد كان المسلمونَ محتاجين إلى الرّاحَةِ، فقُدِّمَ ذِكْرُ النُّعاسِ، ثُمَّ بُيِّنَ أنَّ ذلك واردٌ على جِهَةِ الأمْنِ لهم، بخلافِ آيةِ آل عمْرانَ، فهي تحْكي قصَّةَ غزوةِ أُحُدٍ، وقد مات مِن المسلمينَ شهداءُ، وأصابَتْهُم فاجِعَةُ المعركَةِ، وحصلَ لهم فيها مِنَ الخوْفِ ما حصَلَ، فكانوا أحْوَجَ إلى الأمْنِ، فقُدِّمَ ذِكْرُ ما هُم إليهِ أحْوَجُ.

معاني الحروفِ وغَرَضُ التَّنكير:

في قولِه: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، ﴿مِّنَ﴾ هنا ابتدائيَّةٌ، فالماء ابتدأ نزوله من السَّماء، و(ال) في السَّماء عهديَّة، وأفاد تنكير ﴿مَآءً﴾ هنا التَّكثيرَ والتَّفخيمَ، وقد عُطِفت ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ على ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾، والجارُّ والمجرور ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ متعلِّقان بـ﴿وَيُنَزِّلُ﴾، والماء عنوانُ النَّظافة والتَّطهير، "وهذا يدلُّ على أنَّ المؤمن يجب أن يظلَّ نظيفًا، رغم الوجود في المعركة الَّتي لو استمرَّ فيها الواحد منهم يومًا أو اثنين دون استحمام؛ لما لامَهُ أحدٌ على ذلك"[1]، وعليه فقوانين الحياةِ يجب أن تبقى مرعيَّةً في جميع الأحوال سواء كانت في الحرب أم في السِّلم، وفي الأحوال العادية والطّارئة.

الـمـاءُ مـرتـكـزُ الحياة، وعنوان الـتَّـطـهـيـر في الوجود

نُكْتَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ:

في قَوْلِه تَعالَى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَيْكُم﴾ و﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على المفعول به ﴿مَآءً﴾، مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾؛ اهتمامًا بالمقدَّم وتشويقًا إلى المؤخَّر، وذلك أنَّ تأخيرَ ما حقُّهُ التَّقديمُ، يجْعَلُ النَّفْسَ مرْتَقِبَةً لَهُ، فإذا وردَ بَعْدُ؛ تَمَكَّنَ عندها فضْلَ تمكُّنٍ، وقُدِّم ﴿عَلَيْكُم﴾ على ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ للإشعارِ بأنَّ التَّنزيلَ عليهِم أهَمُّ مِن بيانِ كَوْنِه مِنَ السَّماءِ[2].

تَنْزيلُ الماءِ على خُصوصِ أهْلِ الإيمانِ في بَدْرٍ مِن معجزاتِ الله لنبيِّه

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 4598/8.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 9/4، والآلوسيّ، روح المعاني: 165/5.

تَوْجيهُ المُتشابه اللَّفْظيِّ:

التَّصَرُّفُ في صيَغِ الأفْعالِ في السّياقاتِ المُتَشابِهَةِ تحقيقٌ لِمُطابَقَةِ مُقْتَضَى الحالِ

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾، وقالَ سُبحانَهُ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان: 48]، ووجهُ المغايَرةِ بينَهُما: أنَّ آيةَ الأنفالِ صُدِّرت بقولِه تعالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾، فلمّا كان السّياقُ مبنيًّا على التَّعبير بالفعْلِ المضارِع، لاستحضارِ الحالِ الماضيَةِ، وخاصًّا بأصحابِ النَّبيِّ ﷺ الَّذين كانوا معَهُ في غزوةِ بَدْرٍ؛ ناسبَهُ أن يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ بالفعْلِ المضارِع، وتصريحًا بالمُنَزَّلِ عليهم، ولمّا كانَ تَنْزيلُ الماءِ في وقتِ القتالِ من الأمورِ العجيبَةِ الَّتي مَنَّ اللهُ تعالى بها على أهلِ الإيمان؛ ناسبَهُ بيانُ الغرَضِ من هذا التَّنزيلِ؛ بما يدلُّ على استحضارِه، فقالَ جلَّ وعلا: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾، فاللّام هنا للتَّعليل والمضارع لاستحضار الصّورة؛ بخلافِ آيةِ الفُرقانِ، فقد صُدِّرت بقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [الفرقان: 48]، فلمّا كان التَّعبيرُ عنِ الإرسالِ بالفعلِ الماضي، وكان الإنعامُ متعلِّقًا بعمومِ الخَلْقِ؛ كان ظاهرُ السّياقِ أن يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وأنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً)؛ ليوافقَ الفعْلَ الَّذي قَبْلُ ﴿أَرْسَلَ﴾، لكنْ لمّا كان المرادُ الدِّلالةَ على عظَمَةِ المُنْزِلِ والمُنْزَلِ؛ ناسبَهُ عدمُ ذكرِ ﴿عَلَيْكُم﴾؛ لئلّا يوهِمَ اختصاصَهُ بقومٍ معيَّنينَ، وجاء التَّعبيرُ بإسنادِ الفعلِ الماضي إلى ضميرِ العظَمَةِ، فقال سُبحانَهُ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، ولمّا ذَكَرَ اللهُ تعالَى الغرضَ من إنزالِ الماء، بقولِه بَعْدُ: ﴿لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان: 49]؛ كان الأنسبُ أن يَرِدَ وصفُ الماء، بما يُلائمُ ذلك، فجيءَ بالوصفِ على زِنَةِ المبالغَةِ، فقال تعالى: ﴿طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان: 49].

سِرُّ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿عَنكُمْ﴾:

في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، الواو: عاطفةٌ، وقُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿عَنكُمْ﴾ على المفعول به، ﴿رِجْزَ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ اهتمامًا بالمقدَّمِ وتشويقًا إلى المؤخَّر، إذْ تأخيرُ ما حقُّهُ أن يُقَدَّمَ يبعَثُ في النَّفْسِ شوقًا إليه، حتَّى إذا وردَ بَعْدُ؛ وقع على نفسٍ مستشْرِفَةٍ لَهُ، فيمكَّن منها غايةَ التَّمكُّنِ[1]، وتقديم ﴿عَنكُمْ﴾، هنا لأنَّ مدار هذه النِّعم المذكورة، إنَّما كان من أجْلِهم لا من أجْلِ غيرهم، فهم أهل هذه النِّعم ومحلُّ تحقُّقها فيهم، ويجوزُ أن يكونَ التَّقديمُ لإرادَةِ الاخْتِصاصِ، أي: إنَّ إذهابَ رِجْزِ الشَّيطانِ مختصٌّ بكُم لا يتعدّاهُ إلى غَيْرِكُم مِن الكُفّارِ[2]، ولا تنافيَ بينَ الدِّلالَتينِ؛ لأنَّ النِّكاتِ البلاغيَّةَ، تتَوارَدُ، ولا تتَزاحَمُ.

تَخْصيصُ اللهِ تَعالَى أهْلَ الإيمانِ بإذْهابِ رِجْزِ الشَّيْطانِ عنهمْ

نُكْتَةُ البَدْءِ بذِكْرِ التَّطْهيرِ في قَوْلِه: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾:

ابتُدِئَ في ذِكْرِ فوائدِ الماءِ بالتَّطهير، قبلَ ذِكْرِ إذهابِ رِجْزِ الشَّيطانِ، لنكْتَتَين: إحداهُما: أنَّ التَّطهيرَ مقرِّبٌ من صفاتِ الملائكَةِ المقرَّبينَ[3]، والأخْرَى: أنَّه بُدِئَ بما كانوا إليهِ أحْوَجَ، وذلك لفقْدِهمُ الماءَ الَّذي به يتطهَّرون لصلاتِهم، فلمّا ذكَرَ اللهُ تعالى غايةً من غاياتِ إنزالِ الماءِ، وهو الطَّهارَةُ الظّاهِرَةُ؛ زادَهُم في الفضْلِ بأنْ طهَّر بَواطِنَهُم مِن وساوسِ الشَّيطانِ.

أنْزَلَ اللهُ الماءَ للطَّهارَةِ الظّاهِرَةِ؛ وطَهَّرَ بَواطِنَ المؤمنين مِنَ الأرجاسِ العابرة

بلاغةُ المَجازِ المُرْسَلِ:

الرِّجْزُ في الأصْلِ: العذابُ، وقولُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، أي: وسْوَسَتَهُ وكَيْدَهُ، وسُمّيَتْ وسوسَةُ الشَّيطانِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 9/4.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 236/8.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 236/8.

وكَيْدُهُ رِجْزًا؛ لكونِ ذلك سببًا في العذابِ[1]، ففي الآيةِ مجازٌ مرسَلٌ، علاقَتُهُ: المسبَّبيَّةُ؛ إذْ أُطْلِقَ المُسَبَّبُ وأُريدَ السَّبَبُ؛ ونُكْتَةُ ذلك: الإيماءُ إلى عَدَمِ نفيِ مطْلَقِ الوسوسَةِ، وإنَّما نُفيَ التَّأَثُّرُ بها المؤدّي إلى العذابِ.

مِن رَحْمَةِ اللهِ تَعالَى بأهْلِ بَدْرٍ عِصْمَتُهم مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم، ورجزه الأثيم

وَسْوَسَةُ الشَّيْطانِ: مِن أكبرِ الأرجاسِ المُفْتَقِرَةِ إلى التَّطْهيرِ

تَوْجيهُ المُتشابه اللَّفْظيِّ:

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، وقال سُبحانَهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: 33]، ووجهُ المغايَرةِ بينَهُما: أنَّ آيةَ الأنفال صُدِّرت بقولِه جلَّ وعلا: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، فلمّا ذُكِرَ الماءُ؛ كان الأنسبُ تقديمَ ما يتعلَّقُ به وهو الطَّهارَةُ، ولمّا كان يسْبِقُ ذلك قولُهُ تعالَى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: 5 - 7]، وكان ذلك مِن وسوَسَةِ الشَّيطانِ، وكانت وسوَسَتُهُ مِن أعظَمِ القذَرِ؛ ناسبَهُ قولُهُ بعدُ: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بخلاف آيةِ الأحزاب، فإنَّها واردَةٌ في سياقٍ أكثَرَ تعلُّقًا بتخليَةِ نساءِ النَّبيِّ ﷺ مِن كُلِّ ما يشينُهُنَّ أو يحطُّ قدْرَهُنَّ؛ ناسبَهُ تقديمُ إذهابِ الرِّجْسِ، فقال سُبحانَهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: 33]، ولمّا كان التَّطهيرُ معنويًّا لَم يُنَصَّ على وسيلَتِه الحسّيَّةِ، وهيَ الماءُ، وأُكِّدَ الفعلُ إشْعارًا بتمامِ النِّعْمَةِ، فقال ﷻ: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: 33].

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 11/2.

نُكْتَةُ تَكْرارِ اللّامِ في قَوْلِه: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم﴾ ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾:

كُرِّرَتِ اللّامُ في (ليَرْبِطَ) مِن قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾، وكان يُمْكِنُ أن يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (ويربطَ على قلوبِكُمْ)، وإنَّما أُعيدَتِ اللّامُ للإشْعارِ إلى أنَّ الرَّبْطَ على القلوبِ هو المقصدُ الأعْظَمُ، وما ذُكِرَ قَبْلَهُ بمنزلَةِ الوسيلَةِ إليه، وما ذُكِرَ بعدَهُ مِنَ التَّثْبيتِ بغيرِ لامٍ في قولِه: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾؛ لكونِه لازمًا للرَّبْطِ المذكورِ آنِفًا[1].

مِن أعْظَمِ المَقاصِدِ في مَواقِعِ قِتالِ الكُفّارِ: الرَّبْطُ على قُلوبِ المؤْمِنينَ

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ:

الرَّبْطُ في الأصلِ هو الشَّدُّ، وهو حقيقةٌ في الأجسامِ، وقد استعير في قولِ اللهِ تعالَى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ لِما حصَلَ في القَلْبِ مِنَ الشَّدِّ والطُّمأنينَةِ بعدَ التَّزَلْزُلِ[2]، وهذا جارٍ على طَريقَةِ الاسْتِعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ، ونكتَتُها: تصويرُ السُّكونِ والصَّبْرِ اللَّذَيْنِ أنْعَمَ اللهُ سُبحانَهُ بهما عليهم في قالَبِ المحسوسِ؛ ليَكونَ أقربَ للذِّهْنِ، وأمْكَنَ في النَّفْسِ، ويَجوزُ أنْ تكونَ الاستعارةُ مكنيَّةً أصليَّةً، وإجراؤُها: أنَّه شُبِّهَت القُلوبُ بالأوعيةِ الَّتي مُلِئَتْ شيئًا، ثُمَّ رُبِطَ رأسُها؛ لئلّا يخْرُجَ منها ذلك الشَّيءُ الَّذي وُضِعَ فيها، فحُذِفَ المشبَّهُ به، وهو الأوعيَةُ، وتُرِكَ شيءٌ من لوازمِها وهو الرَّبْطُ؛ مبالغَةً في تصويرِ سكونِ القلوبِ، بلُطْفِ اللهِ تعالَى، حتَّى امتلأتْ مِن كُلِّ خيرٍ، وثبتَ فيها الرَّبْطُ[3].

الرَّبْطُ على القُلوبِ لُطفٌ من اللهِ علّامِ الغيوبِ

دِلالَةُ حَرْفِ الجَرِّ (على) في قَوْلِه: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾:

حرفُ الجرِّ (على) من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ دالٌّ على الاسْتِعلاءِ - كما هو الأصْلُ فيه - ووجْهُ ذلك: أنَّ الرَّبْطَ

مِن رَبْطِ اللهِ على قُلوبِهم أنْ طَهَّرهم مِن ذُنوبِهم، ونَصَرهم على عدوِّهم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 237/8.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 283/5.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 236/8.

على القلوبِ لمّا كان ربْطًا مُحْكَمًا غالبًا؛ جاءَ التَّعبيرُ عنه بحرفٍ دالٍّ على الاسْتِعْلاءِ، فقالَ سُبحانَهُ: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾[1]، والمعنى: أنَّ قلوبَهُمُ امْتَلَأتْ مِن ذلك الرَّبط حتَّى كأنَّهُ علا عَلَيْها، وذلك مُشْعِرٌ بغايةِ التَّمكُّنِ[2].

بلاغةُ الكِنايَةِ في قَوْلِه: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾:

تَـثْـبـيـتُ الـلـهِ تَـعـالَى أقْـدامَ أهْـلِ الإيمانِ في بَـدْرٍ تَثْبيتٌ في الظّاهر والباطن

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾، يُرادُ به حقيقَةُ ما دلَّ عليه هذا اللَّفْظُ، مِن تثبيتِ أقدامِ المُؤْمِنين بتَلْبيدِ المَطَرِ الرَّمْلَ لئلّا تَسوخَ فيهِ أقْدامُهُم، وحَوافِرُ دوابِّهم، كما يدلُّ عليه سببُ نُزولِ الآياتِ، وهو إجماعُ أهلِ العِلْمِ بالتَّفسير[3]. وذهبَ جماعَةٌ مِن أهل العربيَّةِ - كأبي عُبيدَةَ معمرِ بنِ المُثَنَّى - إلى أنَّ المرادَ بتثبيتِ الأقدام: هو إفراغُ الصَّبْرِ عليهم؛ ليَثْبُتوا لِعَدوِّهم[4]، فيَكونُ التَّعبيرُ بتثبيتِ الأقدامِ واردًا على سبيلِ الكِنايةِ على الصَّبْرِ والصُّمودِ في وجهِ العُدوِّ، فلا يحصُلُ منهم فرارٌ وقتَ القتالِ[5]، ولا رَيْبَ أنَّ المعنى الأوَّلَ أظْهَرُ، ولَكِنْ لا يَمْنَعُ ذلك أن يُرادَ المعنى الكِنائيُّ مضمومًا إلى المعنَى الحقيقيِّ، بل إنَّ ذلك يُؤَيِّدُهُ ويقَوّيه، فتكون دلالَةُ الآيةِ على الكِنايَةِ واردَةً على وجهِ التَّبَعِ للمعنَى الحقيقيِّ.

بَيانُ مَرْجِعِ الضَّميرِ في قَوْلِه: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾:

أثَرُ تَعْيينِ مَرْجِعِ الضَّميرِ في وفْرَةِ المَعاني القرآنيَّةِ

الباءُ للسَّببيَّةِ والضَّميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ من قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾، يجوزُ أنْ يَرْجِعَ إلى الماء، فيكونَ التَّثبيتُ حسّيًّا، أو إلى ربْطِ القلوبِ، فيكونَ تثبيتُ الأقْدامِ عِبارَةً عَنِ النَّصْرِ والإعانَةِ في مَواطنِ الحربِ، والأوَّلُ أظْهَرُ، ويُستفادُ المعنى الآخَرُ بطريقِ الكنايَةِ -كما تقدَّمَ-.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 236/8.
(2) الخازن، لباب التّأويل: 298/2، والآلوسيّ، روح المعاني: 165/5.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 427/13 - 428.
(4) معمر بن المثنى، مجاز القرآن: 242/1.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 283/5.

دِلالَةُ (ال) في ﴿ٱلۡأَقۡدَامَ﴾:

مُراعاةُ التَّناسُبِ الصَّوْتيِّ والمَعْنَويِّ بين خَواتيمِ الآياتِ القرآنيَّةِ

اللّامُ في ﴿ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ من قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾، عِوَضٌ عَنْ مُضافٍ إليهِ، والأصلُ: ويُثبِّتَ به أقدامَكُم، فحُذِفَ المضافُ إليه، وعوِّضَ عنه اللّام؛ ليكونَ ذلكَ مُلائمًا للتَّناسُبِ الصَّوْتيِّ بينَ أواخِرِ الآيِ، بخلافِ ما لَوْ ورَدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وَيُثَبِّتَ به أقْدامَكُمْ)، ويمكنُ أن يُقال: إنَّ اللّام عهديَّةٌ ذهنيَّة، والمراد منها أقدام المؤمنين دون غيرهم، فقد امتنَّ اللهُ على عباده المؤمنين، بتطهيرهم من الأحداث الظّاهرة، وإزالة ما في بواطنهم من وساوس الشَّيطانِ الخطرة، والرَّبطِ على قلوبهم بالصَّبر عند المنازلة، وتثبيت أقدام المؤمنين، بتلبيد الأرض الرَّمليَّة المائجة، بالمطر حتَّى تثبتَ فيها الأقدام، ولا تنزلق[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النُّعاس والسِّنَة والنَّوْمِ:

النُّعاسُ والسِّنَةُ والنَّومُ جميعها غفوةٌ وغشية عن الوعي

السِّنَةُ: ثِقَلُ النُّعاسِ، والنَّوْمُ: الغَشْيَةُ الثَّقيلَةُ الَّتي تقطَعُ القلبَ عَن معرفتِه بالأمورِ الظّاهرَةِ[2]، وفرَّق بينَها بعضُ أهل العلم: بأنَّ السِّنَةَ مِنَ الرَّأسِ، والنُّعاسَ في العَيْنِ، والنَّوْمَ في القَلْبِ[3]، والحاصِلُ: أنَّ النُّعاسَ والسِّنَةَ مبادئُ النَّوْمِ.

الشَّيْطان وإبْليس:

يَرِدُ لفظُ (إبْليس) في القرآنِ الكَريمِ مُرادًا به اسمُ عَلَم على الَّذي امْتَنَعَ مِنَ السُّجودِ لآدَمَ عليه السلام، كما في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: 34]، وهو مشتَقٌّ مِنَ الإبْلاسِ، وهو شِدَّة اليأسِ؛

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 283/5.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 349/4.
(3) الفيّوميّ، المصباح المنير: (نوم).

لأنَّ اللّه سُبحانَهُ آيسَهُ مِن كُلِّ خيرٍ، أمّا الشَّيطانُ؛ فيقَعُ وصفًا لكلِّ عاتٍ متمرِّدٍ مِنَ الجنِّ والإنسِ والدَّوابِّ، فلفظُ الشَّيطانِ أعَمُّ مطلقًا مِن إبليسَ[1].

إبليسُ هو زعيمُ الشَّياطين، ورائدُهم في كلِّ فِعلٍ مُشين

الرِّجْز والرِّجْس:

الرِّجْزُ والرِّجْسُ متقاربانِ لفظًا ومَعْنًى، فإنَّ الرِّجْزَ يدلُّ على اضطِرابٍ، والرِّجْسَ يدلُّ على اختلاطٍ، إلّا أنَّ الرِّجْزَ في القرآن الكريم اختصَّ بالعذاب، بخلافِ الرِّجْسِ فإنَّه يغلِبُ في التَّعبير عنِ القَذَرِ حسّيًّا كان أو معنويًّا؛ لِما في القذَرِ مِن اللَّطْخِ والخَلْطِ، والرِّجْسُ وإن استُعمِلَ في القرآن الكريم مرادًا به العذابُ، كما في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف: 71]، إلّا أنَّهُ قد جُعِلَ ما أفضَى إلى العذابِ رجسًا؛ استقذارًا لَهُ، فلَم يخْرُجْ عَنْ أصلِ دِلالَتِه، أمّا الرِّجْزُ؛ فلا يَخْرُجُ عَن معْنَى العذابِ، وذلك لِما يُتَصوَّرُ فيه من اضطرابٍ وحركَةٍ وجلَبَةٍ؛ إذِ العذابُ النّازِلُ لا بُدَّ فيه لِلْمنزولِ بهم، مِن أن يَضْطَربوا لأجْلِه، وثَمَّ مَلْمَحٌ دِلاليٌّ بين الرِّجْزِ والرِّجْسِ، يومئُ إليه الحرفانِ اللَّذانِ وقعَ فيهما الاختلافُ بين الكَلِمَتَيْن وهما الزّايُ والسّينُ؛ فإنَّ الرِّجْزَ اختصَّ بالعذابِ؛ لِما في الزّاي مِنَ الجهْرِ، والجَهْرُ مِن صفاتِ القوَّةِ في الحروفِ، فهو بهذا الاعْتِبارِ أقوَى مِنَ السّين الَّتي من صفاتِها الهمسُ - وهو أي: الهمسُ - مِن صفاتِ الضَّعْفِ، فاختصَّ الرِّجْسُ بما لَيْسَ في مَعناهُ مِنَ الشِّدَّة الَّتي في الرِّجْزِ[2].

الرِّجسُ يؤدّي إلى الرِّجز، وكلاهما مُستقبَحٌ مَرْذول

(1) محمّد ياس خضر الدّوريّ، دقائق الفروق اللّغويّة في البيان القرآنيّ، ص: 155 - 156.
(2) محمّد ياس خضر الدّوريّ، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ص: 336 - 358.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»